doi.org/10.52866/esj.2020.03.16.08

المُصوتات بيْن سِيبَوَيهِ ودانيْال جوُنز
« دراسةٌ موازنةٌ »

م.م. محمد مزهر نصيف
ديوان الوقف السني - دائرة التعليم الاسلامي
Mhmdmzhr098@gmail.com

المستخلص

يهدف البحث بصورة خاصة دراسة وتحليل الصوائت والصوامت عن طريق أصواتها ومخارجها بين علماء اللغة العربية ، كما تحدثوا عن تنوع الصوت بأشكاله، ونسبة درجته، وقوته وقيمته وكيفية حدوثه، والوقوف على مساهمة كلٍّ من القدامى والمحدثين في دراسة الصوائت والصوامت . وقد اخترت بحثي هذا المنهج الوصفي بتتبع اقوال (سيبويه ودانيال جونز) . وتوصل ذلك إلى النتائج الآتية: اعتماد القدماء على الذوق والحس المرهف في مخارج وصفات الحروف، أما المحدثين فقد اعتمدوا على مخارج الحروف وصفاتها واعتمدوا على الآلات الحديثة في تحديد مخارج وصفات الحروف .

الكلمات المفتاحية : المصوتات ، سيبويه ، دانيال جونز .

Voting between saybuayh and Daniel Jones, the study of balancing

ASSistant Lecturer. Muhammad Mazhar Nasif
diwan alwaqf alsiniy - office islmic Education

Abstract

The research aims in particular to study and analyze the voices and silos by their sounds and their outputs among the Arabic language scholars, as they talked about the diversity of the sound in its forms, the ratio of its degree, its strength, its value and how it occurs, and to determine the contribution of both the old and the new to the study of the sounds and silences. My research chose the descriptive approach by following (Sibawayh and Daniel Jones). This reached the following results: The ancient reliance on taste and sensitivity in the exits and qualities of letters, while the modernists have relied on the exits of the letters and their characteristics and relied on modern machines in determining the exits and qualities of the letters.

Keywords: Voting, saybuayh , Daniel Jone.

المقدمة

الحمد لله المبدئ المعيد، والصلاة والسلام على أشرف من أظلت السماء، وأقلت البيد، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعد والوعيد.

امّا بعد، فإن الدراسات الصوتية في العصر الحديث بلغت درجة كبيرة من التقدم، وتوصلت إلى نتائج مهمة أسهمت في ايجاد التعليلات المناسبة بالنسبة لكثيرٍ من المسائل، التي كانت محط خلافٍ بين القدماء، وكل ذلك يرجع إلى التقدم العلمي والتقني الذي شهده القرن العشرين، حيث إن استخدام المختبرات الصوتية بما تمتلكه من أجهزةٍ متطورة، صحح بعض المفاهيم بالنسبة لمخارج الأصوات وصفاتها وما يطرأ عليها في التركيب، وهذا الاستخدام هو ما افتقر إليه علماء العربية القدامى، وكان من أكثر المجالات التي كانت محط خلاف هي المتعلقة بدراسة المصوتات ، التي يسميها علماء الأصوات بأصوات المد واللين، أو الحركات، وهي القسيم الثاني للصوامت أو الحروف.

اذ اقتضت طبيعة البحث ان يكون على تمهيدٍ، ومبحثين، مسبوقة بمقدّمة، ومتلوة بتعقيب وخاتمة، عرضت في التمهيد معنى المصوتات ومخارجها ومميزاتها، وتمثّلَ المبحثُ الأوّل بـ: المصوتات عند سيبويه، وتَمَثَّل المبحثُ الثاني بـ: المصوتات عند دانيال جونز، وتعقيب بينت فيه التشابه بين سيبويه وجونز، ثم الخاتمة عرضت فيها اهم النتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي رفدت البحث.

ارجو ان يجعل الله جهدي هذا نافعا حائزا استحسان طلبة العلم، فما كان فيه من صواب فمِنْ مّنِّ الله تعالى عليَّ وتوفيقه لي، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشَّيطان والكمال لله وحده، والله من وراء القصد، وفوق كل ذي علم عليم.

تمهيد

المصوتات تعريف وتوصيف

صنف علماء اللغة الاصوات الى صامتة، ومصوتة حيث استندوا في تصنيفهم هذا الى أُسس سمعية متعلقة بطول الصوت وارتكازه ودرجته، وكيفية مرور الهواء في مخرج الصوت، والمجرى الذي يتخذه بعد ذلك إلى الخارج فعدوا الصوت صائتاً اذا كان النفس الذي يؤدي الى اصداره يجري طليقا لا يعترضه عائق حتى خروجه بحرية من الفم، عكس الصامت الذي يعترضه عائقٌ في نقطة ما عند خروجه، وهي أصوات قد تكون قصيرة فُتعرف بالحركات، أو تكون طويلة فُتعرف بحروف المد واللين (الالف، الواو، الياء) [1]،

واذا ما استعرضنا آراء العلماء العرب الاوائل نجد انهم فرقوا في تصنيف الأصوات إلى صامتة ومصوتة ،وان كان البعض قد أشار إلى هذا التصنيف تلميحاً من خلال الحديث عن قضيةٍ أخرى، إلا ان البعض الآخر صرح به تصريحاً ، وأقوالهم في كلا الاتجاهين لا تخرج عن الإطار العام الذي يؤكد فهمهم لطبيعة كلا الصنفين[2]، فهذا الخليل بن احمد الفراهيدي يقول: ((وأمَّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح))[3]، ثم صرح بهذا التقسيم حينما قال: ((في العربية تسعة وعشرونَ حرفاً ، منها خمسةٌ

(1) ينظر: في الصوتيات 7، و المدخل إلى علم أصوات العربية 41 .

(2) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 37.

(3) العين: 1/ 52، تهذيب اللغة 1/ 44 .

وعشرون حرفاً صحاحاً ، لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة)) [1]، فالأصوات عنده قسمان ، بغض النظر عن المصطلح الذي استخدمه لها ، وهو تقسيم مبني على الطبيعة النطقية لكل منهم، وهذا ينم عن معرفةٍ كبيرةٍ بطبيعة المصوتات، واختلافها عما سواها.

اما سيبويه فقد كانت آراؤه اكثر وضوحا واتساعا من الخليل وهذا ما سنراه في المبحث القادم ان شاء الله، اما المبرد فيقول: (فمن حروف البدل حروف المد واللين المصوتة، وهي الألف والواو والياء)[2] اذ نراه يستخدم مصطلح مصوت بشكل واضح.

كما أن ابن جني قد اطلق مصطلح (المصوتة) على هذه الأصوات الثلاثة دون غيرها، وهو استخدام يؤكد نظرته إلى هذه الأصوات على أنها تشكل قسيماً ثانياً للأصوات الصامتة، اذ يقول: ((فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالتهِ استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ، إذ لم يجد منقطعاً فيما فوقها ، والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ، ثم الواو))[3].

اما المحدثون وان تعددت مصطلحاتهم فان المفهوم الداخل تحتها هو انعكاس لرأي القدماء، وانَّ مردها جميعا الى شيء واحد، وان كان المحدثون اكثر دقة فان ذلك راجع لما يستخدمه المحدثون من مختبرات صوتية وأجهزة متطورة [4].

يقول ابراهيم أنيس: ((وأساس هذا التقسيم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين ، فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين، هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، فتضيق مجراه ، كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النَّفَس فلا تسمح له بالمرور، كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم، وخلو مجراه من حوائلَ وموانِع))[5] .

أما راي الدكتور كمال محمد بشر فيقول: ((ينبني التقسيم إلى هذين القسمين على طبيعة الأصوات وخواصها، بتركيز الاهتمام في ذلك على خاصتين مهمتين. هما: أوضاع الأوتار الصوتية، وطريقة مرور الهواء في الحلق والفم أو الأنف))[6]، مضيفا ان الاوتار الصوتية في الغالب تكون في حالة ذبذبة عند النطق بالحركات فضلا عن ذلك فان الهواء في حالة النطق بالحركات لا يعترضه أي عائق خلال مروره بالفم.

فالتقسيم خاضع الى شكل ممر الهواء بعد تجاوزه منطقة الحنجرة ؛ أي في الحلق والفم، أما وضع الوترين، فتتولد من اهتزازهما نغمة صوتية تسمى (الجهر)، وإذا تباعدا ومرَّ الهواء خلالهما دون تحريكهما فهنا ينعدم أثرهما في عملية إصدار الأصوات[7].

من هنا يمكن عد المصوت هو الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً ، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً أو تضييق لمجرى الهواء من شأنهِ أن يحدث احتكاكاً مسموعاً، والصامت هو: الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً ، كما في

(1) العين: 1/ 52 .
(2) المقتضب 1/ 61 .
(3) ينظر: سر صناعة الأعراب 1/ 6-8.
(4) ينظر: الخلاف الصوتي بين القدماء والمحدثين 158.
(5) الأصوات اللغوية 26 .
(6) علم اللغة العام (قسم الأصوات) 91 .
(7) ينظر: جهود علماء العربية في المصوتات 23.

الباء، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع ، كما في حالة الثاء والفاء مثلاً [1].

ويضيف بعض المحدثين خاصية أخرى إلى المصوتات تعد أساساً في تمييزها عن الصوائت وهذه الخاصية هي قوة الوضوح السمعي مقارنةً بالمصوتات[2]، يقول دانيال جونز: (إن التمييز بين الحركات والصوامت ليس تمييزاً فسيولوجياً اعتباطياً، إنهُ في الواقع تمييز قائم على اعتباراتٍ أكوستيكية، أعني قوة الإسماع النسبية، أو قوة الحمل، فبعض الأصوات أقوى اسماعاً من غيرها بحيث يقال إنها تبلغ أو تصل بشكل أفضل، أو إنها يمكن أن تسمع من مسافة أبعد عندما تنطق بنفس الطول والنبر ودرجة الصوت)[3].

مميزات المصوتات[4]

تتميز الأصوات الصائتة بالعديد من الصفات منها:

1. قوة الوضوح السمعي، فهي تسمع من مسافاتٍ بعيدةٍ، قد يخفى الساكن فيها.
2. الحركات كّلها مجهورة مما يزيدها وضوحًا.
3. عند النطق بهذه الأصوات يمر الهواء المندفع بسهولةٍ ويسر دون أن يعترض سبيله عائق، وهذا يساعد على مدها والنطق بها لفترة زمنيةٍ طويلةٍ.
4. أكثر الأصوات مرونة، مما جعلها سهلة الانقلاب والتغيير والإلحاق والسقوط.
5. تعتبر الحركات القصيرة اصغر وحدة لغوية، فهي وان كانت لا تحمل مدلولا في ذاتها، الا ان معنى غيرها لا يتضح الا بها.

المبحث الاول

أولاً : المصوتات عند سيبويه

يعد كتاب سيبويه المصدر الاساس الذي يستقى منه الأصواتيون أسس علم الأصوات عند العرب وقامت على أثر ذلك الكثير من الدراسات التحليلية والوصفية والنقدية على المادة الصوتية التي ضّمها، فالأثر الذي أحدثه سيبويه في الدراسات الصوتية كان كبيرا حتى أصبحت مادته الصوتية النبع الذي يرتشف منه من جاء بعده، حتى قيل فيه: (إن هذا الرجل يعد الرائد الحقيقي في الدراسات الصوتية العربية، وان أعماله في هذا المجال هي الأساس لكل الأعمال الصوتية من بعد)[5].

اما جهوده وآراؤه في المصوتات فيتعرض سيبويه لوصف المصوتات فيعرفها بأنها: ((وهذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها ، فيهوي الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة))[6]، فهو يشير إلى المصوتات، وإلى طبيعتها المخرجية من اتساع مخارجها، واستئثارها بصفة المد من بين سائر الحروف التي يلتقي نطقها عضوان من أعضاء النطق في الحلق أو الفم

(1) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) 124، علم اللغة العام (قسم الأصوات) 93.
(2) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 124 ، محاضرات في اللسانيات 132.
(3) An Outline of English Phonetics by Daniel Jones 23، نقلا عن جهود علماء العربية 24 .
(4) ينظر: الصوائت بين الصرف والنحو 21، علم الاصوات 150.
(5) الأصوات عند سيبويه وعندنا 18.
(6) الكتاب : 4/ 176.

أو الشفتين[1].

ثم يحدد طبيعة المصوتات، وأيها أقرب إلى الصوامت، فالياء والواو المصوتتين هما مرتبةٌ وسطى بين الألف والأصوات الصامتة وهذا التدرج ناشئ من طبيعة مخرج الصوت عند نطقِ كلٍّ منها حيث يقول: ((ومنها اللينة وهي: الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت اشد من اتساع غيرهما كقولك: وأي والواو ، وإن شئت أجريت الصوت ومددتَ))[2]، اذ نراه يتعرض لوصف اصوات (الواو والياء) فيعرفها بأنها اصوات اتسعت مخارجها لهواء الصوت، وهذا ما ذهب اليه المحدثون من علماء الاصوات اذ انهم يرون ان عملية تكوين اصوات اللين تتم في موضع متسع[3].

فسيبويه وصف (الواو والياء) بانهما اصوات لينه؛ لان مخرجهما يتسع لهواء الصوت اشد من اتساع غيرها، وهذا يعني ان الهواء الخارج من الرئتين يمر بالحنجرة بما فيها الحبال الصوتية، فتهتز ثم يمضي الهواء بعد عملية الاهتزاز بدون اي عائق من اعضاء اخرى، فنحن نعرف انه عند تكوين اصوات الحنك مثل الجيم والشين يضيق عند النطق بها مجرى الهواء ما بين الحنك واللسان، وفي هذا الوضع تتكون هذه الاصوات، بينما في صوتي (الياء، الواو) لا يحدث مثل هذا، اذ ان الصوت يمر من دون اي عائق، ولم يكتف سيبويه بهذا التحديد، وإنما حدد طبيعة المصوتات، وأيها أقرب إلى الصوامت ، فالياء والواو المصوتتين هما مرتبةٌ وسطى بين الألف والأصوات الصامتة وهذا التدرج ناشئ من طبيعة مخرج الصوت عند نطقِ كلٍّ منها[4].

ثم يصف صوت الالف فيقول: (ومنها الهاوي: وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنكن وهي الألف)[5]، فنراه يميز صوت (الالف) عن صوتي (الواو ،والياء) بانه اكثر اتساعاً من ناحية المخرج، وهذا أمرٌ أقرهُ الدرس الصوتي الحديث ، حيث إنّ الواو والياء يرتفع عند نطقهما اللسان قبلَ الحنك ، سواء في جزئه الأمامي أم الخلفي ، أما الألف فينبسط عند نطقها في قاع الفم[6]، ووصف سيبويه هذه الحروف بأنها أخفى الحروف، قال: (وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف، ثم الياء والواو))[7].

ولم يغفل سيبويه المصوتات القصيرة (الحركات) اذ يقول: (ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد ،وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك))[8].

كما بين سيبويه ما للمصوتات من دور في بنية الكلمة وما يميزها عن الصوامت، فقال: (فأما الأحرف الثلاثة ، فأنهن يكثرن في كل موضع ، ولا يخلو منهن حرف، او من بعضهن ، ألا إن الواو لا تلحق أولا ، ولا الياء أولا فيما ذكرت لك، ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام ، هن لكل مد، ومنهن كل حركة، وهن في كل جمع، وبالياء

(1) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 42.
(2) الكتاب 4/ 435-436 .
(3) ينظر: الاصوات المتغيرة من وجهة نظر حديثة 155.
(4) ينظر: الاصوات العربية بين الخليل وسيبويه 260، وجهود علماء العربية في دراسة المصوتات 42.
(5) الكتاب 4/ 436.
(6) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 42 .
(7) الكتاب 4/ 436 .
(8) المصدر نفسه والجزء 241،242 .

الإضافة والتصغير، وبالألف التأنيث ، وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد أفشى من إن يحصى ويدرك، فلما كن أخوات، وتقاربن هذا التقارب اجرين مجرى واحداً)[1].

ثانياً: مخارج وصفات المصوتات عند سيبويه

حدد سيبويه مخارج المصوتات، فجعل (الألف) من أقصى الحلق ، و(الياء) من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى حيث يخرج الجيم والشين، و(الواو) من بين الشفتين من مخرج الباء والميم[2]، يقول سيبويه: (ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسع مخارجَ منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفةٍ، ولا لسان، ولا حلقٍ كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً، حتى ينقطع آخره في موضعِ الهمزة، وإذا تفطنت وجدت مس ذلك)[3].

وهذه إشارة صريحة إلى عمل أعضاء النطق في إنتاج المصوتات، فإذا أخرجنا الألف من هذه المجموعة كونها لا تأتي إلا مدية، وكون المخرج الذي حدده لها العلماء هو أقصى الحلق أو الجوف فستبرز لدينا أربعة أصوات هي: الياء، في مثل: (بيت)، والواو في مثل: (حوض)، والياء في مثل: (بَرِيء)، والواو، في مثل: (يقُول)، وهذه المجموعة رغم أنَّ ظاهر عبارة سيبويه هو عدم التفريق فيما بينها، مما جعل كثيراً من العلماء ، قديماً وحديثاً، يقولون عنه إنه عدّها من مخرج واحد، سواء كانت مدية أو غير مدية (مصوتة أو صامتة)، فإنه في تعريفه للحروف اللينة قد أشار إلى الخاصية التي تمتاز بها عن غيرها، حين قال: ومنها (اللينة)، وهي الواو والياء، لأن مخرجيهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ، كقولك: وأي، والواو، وان شئت أجريت الصوت ومددت[4].

كما رتب سيبويه اصوات اللين ترتيباً يدل على دقة الملاحظة، فيرى أن صوت (الالف) يأتي في الترتيب الاول من حيث سعة المخرج ثم (الياء) ثم (الواو)، وهذا ملاحظ اذ انه عند النطق بصوت الالف يكون الفك العلوي السفلي متباعدين اكثر من الواو والياء، وفي اليا اكثر من الواو[5]، ومن القضايا المهمة التي تتعلق بتصنيف الأصوات عند سيبويه هو اختصاص المصوتات بسكون سماه السكون الميت، وسماها (الأصوات الميتة)، واختصاص الصوامت بسكون سماه السكون الحي، وسماها (الأصوات الحية)[6]، وذلك واضحٌ في قوله: ((وسألته عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة؛ لأي شيء همزن في الجمع، ولم يكن بمنزلة معاون ومعايش ، إذا قلت: صحائف ورسائل وعجائز؟ فقال: لأني إذا جمعت معاون ونحوها ، فإنما أجمع ما أصله الحركة، فهي بمنزلة ما حركت كجدول، وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك، وكانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال وقد وقعت بعد ألفٍ لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرك، وقد تدخله الحركة في مواضع كثيرة ، وذلك نحو قولك: قال وباع، ويغزو ويرمي، فهمزت بعد الألف كما يهمز سقاء وقضاء، وكما يهمز قائل وأصله التحريك، فهذه الأحرف الميتة التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغير إذا همزت ما أصله الحركة، فمن ثم خالفت ما حُرِّك، وما أصله الحركة في الجمع كجدول ومقام)[7]،

(1) الكتاب: 4/ 318 .
(2) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 61 .
(3) الكتاب 4/ 176 .
(4) ينظر: في الاصوات اللغوية 87 .
(5) ينظر: الاصوات العربية بين الخليل وسيبويه 26هـ .
(6) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 109.
(7) الكتاب 4/ 356 .

وميتٌ هو إشارة إلى أن الألف لا تتحيز إلى جزءٍ من أجزاء الفم ، فهي قد تندفع فتهوي في هوائه حتى يغوص صوتها في آخره، ولذلك سميت بالهاوي والهوائي؛ لأنَّ سكونها غير جارٍ في مقطع ، ولا حاصل في حيز، فهو ضد السكون الحي؛ لأنَّ الحيَّ متحيزٌ كالمتحرك ، والمتحرك حيٌّ لتحيزهِ وانقطاعه، وأما الواو والياء فسكونها بعد حركتها كسكون الألف؛ لأنهما لا يتحيزان إلى مدرج، ولا ينقطعان في مخرج، فإن انفتح ما قبلهما كان سكونها حياً، لأنك تجدهما ظاهرتي التحيز والانقطاع ، لأخذِ اللسان الياء، وأخذ الشفتين الواو، فسكونها حيٌّ كسكون سائر الحروف، فكما تجد الجيم التي هي أخت الياء في مخرجها قد أخذها اللسان في قولك: (خرجت)، كذلك تجد الباء التي هي أخت الواو قد أخذتها الشفتان في قولك: (كتبت) ، كذلك تجد الواو وقد أخذتها الشفتان في قولك: (عفوت)[1].

المبحث الثاني

أولاً : المصوتات عند دانيال جونز

عرف دانيال جونز المصوتات بأنها: (اصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون ان يتعرض لتدخل الاعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه او يسبب فيه احتكاكا مسموعا)[2].

فالناظر الى هذا التعريف يجد ان جونز يعد الحركات اصواتاً مجهورة بمعنى ان الاوتار الصوتية تهتز عند حدوث اي صوت منها، معللا ذلك بأن الحركة صوت لا تتدخل عند نطقه اعضاء النطق العليا، وان تدخلت فإن ذلك يحدث احتكاكا يسيرا غير مسموعٍ، فلولا الجهر الناتج عن اهتزاز الاوتار الصوتية لمرَّ الهواء من الرئتين الى خارج فضاء الفم دون ان يحدث صوت كما هو الحال في الزفير[3].

كما انّه يضيف خاصية اخرى للتمييز الحركات عن الصوامت وهذه الخاصية هي قوة الوضوح السمعي حيث يقول: (إن التمييز بين الحركات والصوامت ليس تمييزاً فسيولوجياً اعتباطياً، إنهُ في الواقع تمييز قائم على اعتباراتٍ أكوستيكية، أعني قوة الإسماع النسبية، أو قوة الحمل، فبعض الأصوات أقوى اسماعاً من غيرها بحيث يقال: إنها تبلغ أو تصل بشكل أفضل، أو إنها يمكن أن تسمع من مسافة أبعد عندما تنطق بنفس الطول والنبر ودرجة الصوت)[4] فالصوائت عن جونز أوضح في السمع من الصوامت، وليست كل الصوائت ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، بل منها الأوضح، فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة، كما ان أصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الصامتة لذا كانت أكثر الأصوات وضوحًا سمعيا، فالفتحة أطول من الكسرة والضمة، وصوت المد قد يكون بسيطًا إذا اقتضى موقعًا ثابتًا لا يتغير في أثناء النطق، مثل الألف في (قال)، وقد يكون مركبًا إذا انتقل اللسان في أثناء النطق مباشرة من موقع صوت مد إلى موقع صوت مد آخر مثل: يوم، بيت[5].

(1) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 111 .
(2) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي 91 .
(3) ينظر مبادئ اللسانيات 132 .
(4) An Outline of English Phonetics by Daniel Jones 23، نقلا عن جهود علماء العربية 24 .
(5) ينظر: دور الصوائت العربية في وضوح المعنى وامن اللبس 14 .

ثانياً : مخارج وصفات المصوتات عند جونز

إن ما دعا العلماء إلى هذا التقسيم هو أنهم احسوا (بصعوبة وصف الأصوات الذائبة بسبب عدم حصول حبس في آلة النطق أو تضييق واضح عند النطق بها)[1] وهو ما دعا دانيال جونز إلى ابتكار تصنيفه الشهير للحركات الذي سماه بالذوائب المعيارية، كما حدد الأوضاع الأساسية التي يمكن أن يتّخذها اللسان في داخل فراغ الفم في أثناء نطق الصّوائت، فوضعوا ثماني صوائت رئيسة في لغات العالم على وفق ثلاثة معايير هي:[2]

الوضع العمودي للسان: النّظر في ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع عند نطق صائت ما (أعلى ، أسفل).

الوضع الأفقي للسان: النّظر في الدّرجة التي يتقدّم بها اللسان أو يتخلف (أمام ، خلف).

أوضاع الشّفتين: النّظر في كون الشّفتين مدوّرتين عند نطق الصّائت أم لا، وإذا لم تكونا مدوّرتين فهل هما منبسطتان أو في وضع محايد.

ويمكن توضيح مواقع الصوائت عند جونز من خلال الرسم التوضيحي الآتي:[3]

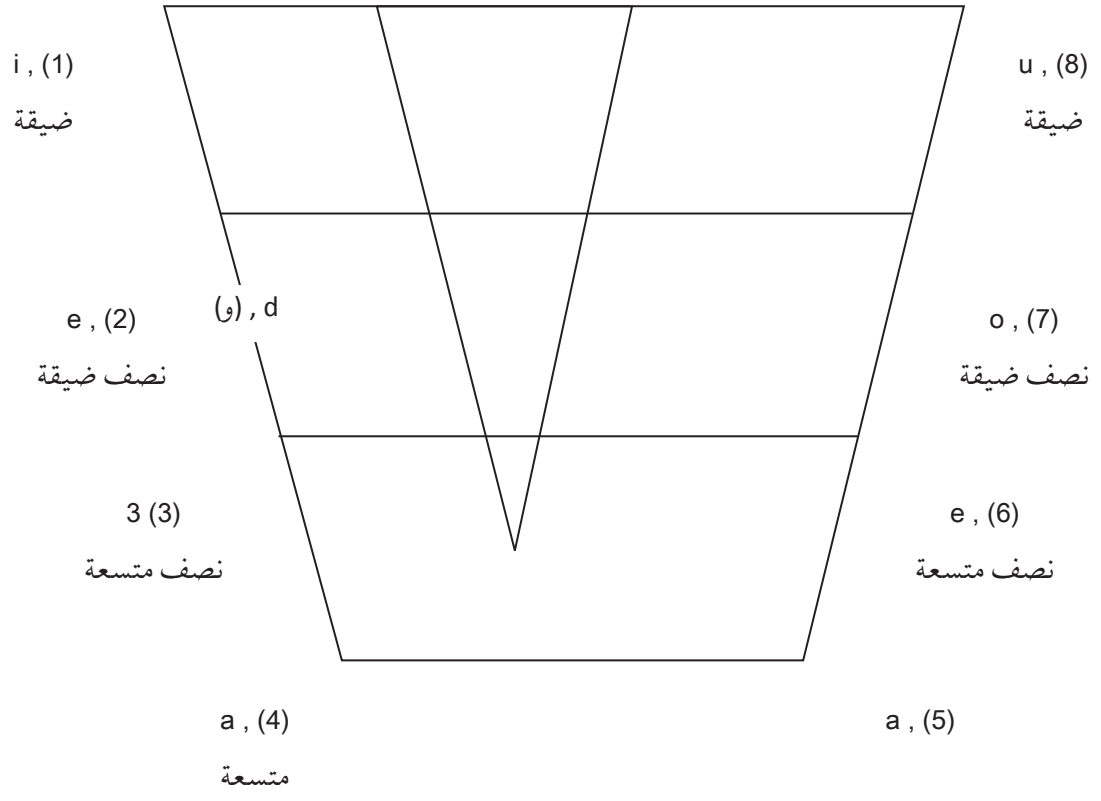

(1) المدخل إلى علم اصوات العربية 146 .

(2) ينظر جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 26 .

(3) ينظر: مبادئ اللسانيات 133 ، و المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي 94 .

فأنواع الحركات تتحدد بحسب حركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، او حركة مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك كذلك، فان كان اللسان مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في اقصاه نحو اقصى الحنك، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين نتج عن ذلك صوت الفتحة (a)، فاذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الاعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء دون ان يحث اثناء مروره اي احتكاك ،وجعلت الاوتار الصوتية تهتز مع ذلك نتج صوت الكسرة الخالصة (i)، ولو صعدت مقدمة اللسان اكثر من ذلك نحو وسط الحنك بحيث يحدث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع نتج عن ذلك صوت (الياء) [1]، لذلك يعد علماء الاصوات (الياء) صوتا شبيها بالحركة؛ لكن وضع مقدمة اللسان مع (الياء) اقرب الى سقف الحنك من وضعها مع الكسرة، والفراغ بينهما اقل بحيث يسمح للهواء المار بالاحتكاك، فيحدث الحفيف الذي يسمع مع صوت الياء ولا يسع مع صوت الكسرة وبين وضعي اللسان في صوتي الفتحة والكسرة، او بمعنى اخر بين وضعه في قاع الفم وارتفاع مقدمة نحو وسط الحنك بحيث تحدث الكسرة الخالصة انواع كثيرة تحدث بسببها انواع متعددة من الحركات ابرزها صوت الكسرة المالة [2].

اما اذا ارتفع اللسان نحو سقف الحنك بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه المنطقة اي نوع من الحفيف مع حدوث ذبذبة في الوتار الصوتية، فان الصوت الذي نتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة (u)، فاذا ارتفع اقصى اللسان نحو سقف الحنك اكثر من هذا بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك، واحداث نوع من الحفيف نتج عن ذلك صوت (الواو)، ولذلك يعد علماء الاصوات هذا الصوت من الاصوات الشبيهة بالحركات؛ لان الفرق بينه وبين الضمة الخالصة في قرب اقصى اللسان من سقف الحنك مع (الواو) اكثر منه مع الضمة ، وبين وضع اللسان في صوت الفتحة ووضعه في صوت الضمة اي بين وضع اللسان في شاع الفم وارتفاع مؤخرته نحو سقف الحنك بحيث تحدث الضمة الخالصة، وابرز الحركات التي تنتج عن هذا الوضع صوت الضمة المالة[3].

كما لا نغفل دور الشفتين في تكوين الذوائب المعيارية، حيث أنَّ لوضع الشفتين في انفراجهما وانفتاحهما واستدارتهما دوراً كبيراً في تحديد نطق الذائب المعياري الذي يصحب كل شكل، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: (فإذا اضفنا إلى نطق ألـ (i) بروز الشفتين واستدارتهما فنحن نضيف حجرة رنين ثالثة ، وبالتالي نطيل تجويف الفم ، وفي نفس الوقت الذي نقلل فيه فتحته ، ونحصل بذلك على علة أمامية مستديرة (y)، وكذلك يمكن أن تبسط الشفتان مع العلة الخلفية (u) فينتج علة خلفية غير مستديرة (w)[4]، يقول الدكتور محمود السعران: (وللشفتين دخل كبير في تكوين الأصوات الصائتة بالإضافة إلى اللسان، قد تنضم الشفتان او تكسران أو تتخذان وضعاً محايداً، تنضم الشفتان كما يحدث في نطق (الضمة) و(الضمة الطويلة)، وتكسران في نطق (الكسرة)

(1) ينظر: علم الاصوات 419 – 435، و مبادئ اللسانيات 132–135 .

(2) ينظر: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي 92،93 .

(3) ينظر: مبادئ اللسانيات 132–135، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي 92،93، وجهود علماء العربية في المصوتات 29،30 .

(4) ينظر: دراسة الصوت اللغوي 130 .

و(الكسرة الطويلة) ، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحتين) ، وقوله : تكسران ، يعني به الشفة السفلى، فهي التي تقوم بذلك مما يؤدي الى انجرار الفم معها وحركة الشفة العليا[1].

تعقيب

تمكّن علماء العربية القدماء وعلى رأسهم سيبويه من معرفة الكثير من خصائص المصوتات على الرّغم من افتقارهم لوسائل البحث الصّوتي التي حظى بها المحدثون، حيث جعل لكل مصوت مخرجا محددا، اذ بين ان الألف من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء ، والياء من وسط اللسان مع الجيم والشين ، والواو من الشفتين مع الباء والميم، وكذلك اشار سيبويه الى طبيعة مخارج المصوتات، واستئثارها بصفة المد من بين سائر الحروف التي يلتقي عند الوقوف عليها عضوان من أعضاء النطق في الحلق أو الفم أو الشفتين[2].

كذلك نجد سيبويه حدد طبيعة المصوتات، وأيها أقرب إلى الصوامت، فالياء والواو المصوتتين هما مرتبةٌ وسطى بين الألف والأصوات الصامتة، وهذا التدرج ناشئ من طبيعة مخرج الصوت عند نطقِ كلٍّ منها، حيث وصف منها بعضها باللينة وهي الواو والياء؛ لان مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما، ومنها وصفه بالهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف، وهذا أمرٌ أقرهُ الدرس الصوتي الحديث، حيث إنّ الواو والياء يرتفع عند نطقهما اللسان قبلَ الحنك، سواء في جزئه الأمامي أم الخلفي، أما الألف فينبسط عند نطقها[3].

ومن القضايا المهمة التي تتعلق بتصنيف الأصوات عند سيبويه هو اختصاص المصوتات بسكون سماه السكون الميت، وسماها (الأصوات الميتة)، كما ووصف سيبويه هذه الحروف بأنها أخفى الحروف، قال: (وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها ، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف، ثم الياء، ثم الواو)، ويلاحظ من مما سبق، أن هذا الاتجاه يتفق مع ما قاله جونز، إلا أن عبارته لا تخلو من الغموض بعض الشيء قياسا بما هي عند جونز، كما ان دور الاجهزة الحديثة في تحديد الاصوات جعله اكثر دقة حيث بين ما للوترين الصوتين من اثر في تكوين النغمة الحنجرية التي تكون عاملا مهما لنطق هذه الأصوات الذائبة هذا ما غفل عنه القدماء.

الخاتمة

بتوفيقه ومَنِّة منه اكتمل هذا البحث ،اذ نذكر أهم النتائج التي توصل إليها، والتي يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

1. يتفق سيبويه في تصنيف الأصوات إلى صامتة ومصوتة، وهو التصنيف نفسه الذي أقرته الدراسات الصوتية الحديثة.
2. يعتمد سيبويه في تصنيف الأصوات بالدرجة الأساس على الشكل الذي تتخذه أعضاء النطق عند نطق المصوتات ، فهي تتسع بدرجةٍ تسمح للهواء بحرية المرور، ،وهذه القضية نفسها يذهب معها جونز هي التي اعتمد عليها المحدثون في تصنيف الأصوات.

(1) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) 153، والأصوات اللغوية 35 .

(2) ينظر: جهود علماء العربية في دراسة المصوتات 42 .

(3) ينظر: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي 92،93 .

3. اهتم سيبويه بالبحث في قضية نسبة المصوتات القصيرة إلى الطويلة ،وعلاقتها بها ، واشار الى الزمن الذي يستغرقه نطق المصوتات القصيرة، وهذا ما أقره الدرس الصوتي الحديث.
4. إن تحديد سيبويه لمخارج المصوتات لم يكن واضحاً بدرجة كبيرة، والسبب في ذلك هو نقص المعرفة التشريحية لديه، كما ان دقة تحديد الصفات والمخارج عند جونز وعلماء الدرس الصوتي الحديث راجع الى الاجهزة المتطورة التي تحدد المخارج بشكل دقيق.
5. بحث سيبويه فكرة السكون الحي والسكون الميت، اذ نظر إليها على إنها قابلية الحرف للحركة أو عدمها، في حين ان جونز لم يشر الى هذه القضية.

المصادر

- الاصوات العربية بين الخليل وسيبويه، عليان الحازمي، مجلة كلية اللغة العربية جامعة ام القرى ، العدد الثاني،1404هـ.
- الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة،1971م.
- الأصوات عند سيبويه وعندنا: ارتور شاده ، تصحيح: د. صبيح التميمي، صنعاء، الطبعة الأولى، 2000م.
- الاصوات المتغيرة من وجهة نظر حديثة، ايثار شوقي سعدون، مجلة كلية التربية الاساسية ، العدد الواحد والخمسون، 2007م.
- تهذيب اللغة ، الازهري ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ) حققه وقدم له عبد السلام هارون، راجعة محمد علي النجار ، مصر 1384هـ- 1964م.
- جهود علماء العربية في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتي الحديث ، رسالة ماجستير ،حسين خلف صالح الجبوري كلية التربية جامعة تكريت بإشراف :عبد الجليل تركي نقي 1424 3003 .
- الخلاف الصوتي عند القدماء والمحدثين، أطروحة دكتوراه، احمد عطية علو الجبوري كلية التربية/ جامعة تكريت ، أشراف ، سالم قدوري الحمد 1424هـ، 2004م.
- دراسة الصوت اللغوي ، الدكتور احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الأولى 1396هـ - 1976م.
- دور الصوائت العربية في وضوح المعنى وامن اللبس، مطير بن حسين المالكي (بحث رقمي) .
- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م .
- الصوائت بين الصرف والنحو دراسة تحليلية اطروحة الدكتوراه، سامية حسين أحمد نور، اشراف عبد الله محمد أحمد حامد، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2004م
- العين ، الفراهيدي الخليل بن احمد (ت170هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر 1980م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، الدكتور محمود السعران ، دار الفكر القاهرة ، الطبعة الثانية 1417هـ- 1997 م .
- علم اللغة العام ، (قسم الأصوات) ، الدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف مصر ، الطبعة الثانية 1971م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، الدكتور محمود السعران ، دار الفكر القاهرة ، الطبعة الثانية 1417هـ- 1997 م .
- علم الاصوات، كما بشر، د . ط، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد)، الدكتور غالب فاضل المطلبي ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984م
- في الصوتيات، للدكتور محمود علي السلمان، 1997. د.ط.

● الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) (180هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1395هـ ـ 1975 م .
● مبادئ اللسانيات : د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1416 - 1996 م.
● محاضرات في اللسانيات، الدكتور فوزي حسن الشايب ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى 1419هـ- 1999م.
● المدخل إلى علم أصوات العربية ،الدكتور غانم قدوري الحمد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م.
● المقتضب ، المبرد ابو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب -بيروت (د. ت) .
● المدخل الى علم الاصوات ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط.3، مط الخانجي، القاهرة 1997م.